الأديان والمذاهب

س : يتحدث الناس كثيراً عن العلمانية ، فما هو أصلها وما هو موقف الإسلام منها ؟

ج : مما هو مقرر أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فلابد من تحديد المفاهيم حتى يمكن الحكم عليها حكماً صحيحاً ، والعلمانية لفظ وجد في كتبنا العربية حديثاً عند ترجمة ما يقابلها في اللغات الأجنبية عن طريق الإدارة العامة للتشريع والفتوى بمجلس الأمة المصري -آنذاك- كما هو ثابت في الموسوعة العربية للدساتير العالمية التي أصدرها المجلس المذكور سنة ١٩٦٦م.

وبعيداً عن صحة النطق بهذه الكلمة ، الذي ذهب فيه الكاتبون مذاهب شتى ، وكان فرصة استغلت للدعوة إلى وجهة نظر معينة كما هو شأن المتشابه من النصوص الذي جاء فيه قول الله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ....﴾ [آل عمران : ٧] .

بعيداً عن ذلك ، فإن نسبة العلمانية إلى العلم أو العالم ليست على قياس لغوي ، وهي ترجمة للكلمة الإفرنجية «لاييك» أو «سيكولا ريسم» وتعني «لادينية» على أي وجه تكون ، وفي أي ميدان تطبق ، وعلى أي شيء تطلق . وهي نزعة أو اتجاه أو مذهب اعتنقه جماعة في أوروبا في مقابل ما كان سائداً فيها في العصور المظلمة ، التي تسلط فيها رجال الدين على كل نشاط في أي ميدان ، مما تسبب عنه ركود وتخلف حضاري بالنسبة إلى ما كان موجوداً بالذات عند المسلمين من تقدم في كل المجالات.

وكان معتنقو هذا المذهب في أول الأمر في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد وقفوا من الدين موقف عدم المبالاة به ، وتركوا سلطانه يعيش في دائرة خاصة ، واكتفوا بفصله عن الدولة . ومن أشهر هؤلاء «توماس هوبز» الإنجليزي المتوفى سنة ١٦٧٩م ، «جون لوك» الإنجليزي المتوفى سنة ١٧٠٤م ، «ليبنيتز» الألماني المتوفى سنة ١٧١٦م ، «جان جاك روسو» المتوفى سنة ١٧٧٨م.

وفي القرن التاسع عشر كانت المواجهة العنيفة بين العلمانية والدين ، وذلك لتغلغل المادية في نفوس كثير ممن فتنوا بالعلم التجريبي ، إلى حد أنكروا فيه الأديان وما جاءت به من أفكار ، واتهموها بتهم كثيرة كرد فعل للمعاناة التي عانوها من رجال الدين وسلطانهم في زمن التخلف الذي نسبوه إلى الدين ، ذلك الدين الذي كان من وضع من تولوا أمره . والدين الحق المنزل من عند الله بريء منه .

ومن أشهر هؤلاء المهاجمين «كارل ماركس» الألماني المتوفى سنة ١٨٨٣م، «فريدريك أنجلز» الألماني المتوفى ١٨٩٥م، «فلاديمير أوليانوف لينين» الروسي المتوفى سنة ١٩٢٤م. هؤلاء لم يقبلوا أن تكون هناك سلطة ثانية أبداً ، حتى لو لم تتدخل في شؤون الدولة ، وإن كانت هذه العداوة للدين بدأت تخف ، وتعاونت السلطات السياسية والاستعمارية على تحقيق أغراضها .

لقد تأثر بهذا المذهب كثيرون من الدول الغربية ، وقلدها في ذلك بعض الدول الشرقية ، ووضعت دساتيرها على أساس الفصل بين السياسة والدين، مبهورة بالتقدم والحضارة المادية الغربية ، اعتقاداً أنها وليدة إقصاء الدين عن النشاط السياسي والاجتماعي .

إن العلمانية بهذا المفهوم وهو عدم المبالاة بالدين ، يأباها الإسلام ، الذي هو من صنع الله وليس من صنع البشر ، فهو منزه عن كل العيوب والمآخذ التي وجدت في الأديان الأخرى التي لعبت فيها الأصابع وحرفتها عن حقيقتها. ذلك لأنه دين الإصلاح الشامل ، الذي ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه ، ويوفر له السعادة في الدنيا والآخرة على السواء ، فهو كما يقال ، دين ودنيا ، أو دين ودولة ، أو عبادة وقيادة ..

ومن مظاهر ذلك ما يأتي :

١ - عقائد الإسلام ليست فيها خرافات ولا أباطيل ، فهو يقدس العقل ويأمر بتحكيمه إلى حد كبير .

٢ - الإسلام ليس منغلقاً على معلومات معينة يتلقاها بنصها من الوحي ، بل هو كما يقال ، دين منفتح على كل المعارف والعلوم ما دامت تقوم على حقائق وتستهدف الخير .

٣ - الإسلام يمقت الرهبنة التي تعطل مصالح الدنيا ، ويجعل النشاط الذي يبذل لتحقيق هذه المصالح في منزلة عالية ، لأنه جهاد في سبيل الله ، والتاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصديقين ، فهو دين يعمل للدنيا والآخرة معاً .

٤ - الإسلام يقرر أن السلوك الاجتماعي مقياس لقبول العبادة ، فمن لم تثمر عبادته ، بمفهومها الخاص من العلاقة بين العبد وربه ، استقامة في السلوك فهي عبادة مرفوضة لايقبلها الله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون : ٤-٧] .

٥ - الإسلام ليس فيه كهنوت يتحكم فيه بعض من الناس في مصائر الناس بإدخالهم الجنة أو حرمانهم منها ، بناء على اعتبارات خاصة، فمدار ذلك على العقيدة الخالصة والعمل الصالح ، وليس المشتغلون بعلوم الدين إلا معلمين ومرشدين، والأمر متروك بعد ذلك لمن شاء أن يستفيد أو لايستفيد بالتطبيق ، وقد يكون المتعلم أقرب إلى الله من معلمه ، بالتزام الطريق المستقيم الذي رسمه الله لهم جميعاً ، فما دامت العبادة لله فهو وحده الذي يقبل منها ما يشاء .

٦ - الإسلام ليس فيه سلطة مقدسة مستمدة من سلطة الله ، وليس في البشر من هو معصوم من الخطأ ، إلا من اصطفاه الله لرسالاته ، والحكم من ذوي السلطان ليس لذواتهم ، بل الحكم للدين أولاً وآخراً ، فكل شيء فيه اختلاف رأي يرد إلى الله وإلى الرسول ، أي الكتاب والسنة .

٧ - مبادئ الشريعة تستهدف تحقيق المصلحة ، فإذا لم يوجد نص واضح في أمر تعددت فيه وجهات النظر من أهل النظر وكان يحقق المصلحة العامة كان مشروعاً ، وبخاصة في أمور الدنيا ، فالناس أعلم بشئونها .

٨ - الإسلام دين تقدم وتطور وحضارة ، ليس جامداً ولا متمسكاً بالقديم على علاته فهو ينهى عن التبعية المطلقة في الفكر أو السلوك الذي يظهر بطلانه ، بل يقرر أن الله يبعث مجددين على رأس كل قرن ، يوضحون للناس ما أبهم ، ويصححون لهم ما أخطأوا فيه ويوائمون بين الدين والحياة فيما تسمح به المواءمة ، لأنه دين صالح لكل زمان ومكان ، ومن مبادئ التربية المأثورة عن

السلف : لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم . والمراد بالأخلاق العادات التي تقبل التغيير ، أما أصول الأخلاق فثابتة .

بهذا وبغيره نرى الإسلام يرفض العلمانية ، وأن المسلمين ليسوا في حاجة إليها ، وإنما هم في حاجة إلى فهم دينهم فهماً صحيحاً ، وتطبيقه تطبيقاً سليماً كاملاً كما فهمه الأولون وطبقوه ، فكانوا أساتذة العالم في كل فنون الحضارة والمدنية الصحيحة ، وضعف المسلمين وتأخرهم ناتجان عن الجهل بحقائق الدين وبالتالي عدم العمل بما جاء به من هدى ، وبالجهل قلدوا غيرهم في مظاهر حضارتهم ، وآمنوا بالمبادئ التي انطلقوا منها دون عرضها على مبادئ الإسلام ، لأنهم لايعرفون عنها إلا القليل .

ولئن رأينا بعض دول المسلمين الآن قد نقلوا معارف غيرهم ممن يدينون بالعلمانية ، فليس ذلك دليلاً على أنهم آمنوا بما آمنوا به ، وإنما هو للاطلاع على ما عندهم حتى يعاملوهم على أساسه ، وإذا كانوا قد قبسوا من مظاهر حضارتهم فذلك للاستفادة من نتائج علمهم وخبرتهم فيما يقوي شوكة المسلمين ويدفع السوء عنهم ، والتعاون في المصالح أمر تفرضه طبيعة الوجود ، وهو مشاهد في كل العصور على الرغم من اختلاف العقائد والأديان . والمهم ألا يكون في ذلك مساس بالعقيدة أو الأصول المقررة وأن يستهدف الخير والمصلحة . هذا، والأدلة على ما قلناه مما جاء به الإسلام كثيرة تركناها للاختصار ، والمقصود هو إلقاء بعض الضوء على هذا المصطلح وموقف الدين منه .

س : ما هي الوجودية وما موقف الإسلام منها ؟

ج : الوجودية مذهب أو اتجاه فكري يعني بالبحث في الوجود الإنساني ، ويصورها «ريجيس جوليفييه» في كتابه (مذاهب الوجودية) بأنها اعتقاد أن أساس وجو الإنسان هو ما يفعله بمعنى أن أفعاله هي التي تحدد وجوده ، كما قال سارتر : أنا موجود فأنا أفكر ، على عكس ما قال ديكارت : أنا أفكر فأنا موجود.

إن هذا المذهب ليس جديداً ، فقد اهتم به كثيرون من الفلاسفة والأدباء والمتصوفين وغيرهم من قديم الزمان ، وإن كان أبرزهم حديثاً هو «كير كجارد» الدانمركي المتوفى سنة١٨٥٥م وآخرهم «جان بول سارتر» الفرنسي المولود في ٢١ من يونيه سنة ١٩٠٥م والمتوفى في يوم الثلاثاء ١٥ من أبريل ١٩٨٠م.

وبعض المعتنقين لهذا المذهب يؤمنون بوجود الله الذي خلق الإنسان ، لكن يرون أنه رمى به في تيه يعيش فيه بين الألم والخوف والقلق ، ومن هؤلاء : كير كجارد ، جبرييل مارسيل ، وبعضهم لايؤمنون بأن الله خلق الإنسان ، بل هو الذي خلق نفسه بنفسه ، وذلك لعدم اليقين بمصدروجوده الحقيقي ، ومنهم : هيدجر ، سارتر.

والذين درسوا تاريخ هؤلاء تبين له أن ظروف حياتهم هي التي أملت عليهم هذا الاتجاه في التفكير ، فقد كان «كير كجارد» منطوياً على نفسه منعزلاً ، ولذلك حلل الوجود البشري تحليلاً يعيش في جو الحصر النفسي والتمزق الداخلي والشعور بالخطيئة ، وكذلك «سارتر» حيث اهتم اهتماماً كبيراً بفكرة العدم باعتباره داخلاً في نسيج الوجود ، فالفرد عنده يعيش في مواقف تتصف بالتميع ، ويحاول أن يتخطى حدود نفسه ويخدعها ، ومن أجل أن وجوده مرتبط بوجود الآخرين يرى تصارع إرادتهم مع إرادته في جو كله غثيان ، والفرد يسعى جاهداً إلى تحقيق رغباته لكن ذلك غير ممكن ، لأن إمكاناته لاتسعفه .

ويمكن أن نحدد أهم الصفات المميزة للوجوديين فيما يلي :

١ - الإيمان بأن التجربة الفردية هي أساس المعرفة ، وليس العقل أو غيره موصلاً إلى معرفة الحقيقة .

٢ - الإغراق في تقديس الحرية الشخصية فكراً وسلوكاً ، وعدم الاهتمام بالآخرين بقدر الاهتمام بالنفس ، ولذلك كثر فيهم الشذوذ والتطرف والآراء الغريبة والإنسان هو صانع وجوده بنفسه ، لأنه رب أفعاله .

٣ - التشاؤم والقلق والتمزق ، فالوجودي يحاول أن يخلع نفسه من نفسه ليعيش نفساً أخرى ، لأنه إما أن يكون قد قذف به في الكون وترك مع الطوفان بلا مدد أو وقاية ، كما يقول الملحدون ، وإما أن يكون الله قد ترك له حرية

الاختيار، وإن كان الاختيار نفسه محدوداً بحواجز خارجة عن إرادته وهو يشعر بها عند الفشل والمقاومة، فالوجود عندهم يتأرجح دائماً بين الوجود والعدم أو بين الاختيار والجبر.

وهي تجرد الإنسان من كل ثقة في الحياة ، وتهدم كل أساس ينطلق منه العمل . يقول «هيدجر» إننا قد ألقي بنا إلى هذا العالم ولست أعرف لماذا ولا كيف ، والشيء الوحيد الذي أعرفه حق المعرفة هو أنني سأموت يوماً من الأيام ، فالإنسان مستقبله محدود ومتناه ، وأنا أعرف ذلك .

إن لهم تعبيرات غريبة عن التجربة الفردية التي يعيشونها ، يقول عنها «كارل ياسبرز» إنها الإحساس بمدى هشاشة الوجود الإنساني ، ويقول عنها «هيدجر» هي المضي نحو الموت ، ويقول عنها «سارتر» :» الإحساس بالغثيان والتقزز بل إن كثيراً منهم لايرضى أن يقال عنه : إنه فيلسوف ، وإنما يقال : كاتب أو أديب ، لأن الفيلسوف الوجودي يقصر بحثه على الوجود الخاص به ، وهو يرى أن فلسفة البحث عن الوجود هي العدم ، وذلك ما قاله هيدجر . ومن هنا اعتبر كبار النقاد أن سارتر أديب أولاً ، ثم فيلسوف ثانياً .

٤ – تقوم الوجودية على إنكار وجود الله ، وبالتالي إنكار حياة بعد الموت ، أو على عدم الرضا بقضاء الله وحكمته في هذا الوجود ، وأنه بقدرته يمكن أن يغير أي حال إلى حال آخر ، الأمر الذي جعلهم يعيشون حياة القلق والتشاؤم والاهتمام بالذات وانتهاز الفرص التي ربما لاتتاح بعد.

إن الناظر إلى هذا الفكر يراه مخالفاً للإسلام ، وذلك لما يأتي :

أ – أن الإسلام يقوم على الإيمان بوجود الله وبالحياة الآخرة ، فالوجود الزمني في الدنيا معه وجود آخر دائم بعد الموت ، فالعدم ليس نهاية الوجود كله ، بل إن الحياة الآخرة خير لمن اتقى واستقام أمره .

ب– ليست وسائل المعرفة الصحيحة قاصرة على إحساس الفرد نفسه بما يعانيه من تجربة ، فهناك العقل وميدان التفكير واسع غير محدود ، وهناك الوحي المنزل من عند الله على رسله .

ج - ليست الحرية الشخصية في الإسلام أو في أي دين آخر ، بل في أي تشريع أو عرف ، حرية مطلقة بغير حدود ، فهناك ضوابط موضوعة لاستقامة السلوك وللمحافظة على حقوق الآخرين . ضرورة أن الإنسان مدني بطبعه ، لابد أن يعيش في مجتمع له حقوقه ، ومعلوم أن الأهواء الشخصية مختلفة ، وفي بعضها تضارب كبير، والإنسان ليس كالحيوانات التي تسيرها غرائزها في أكثر أحوالها.

د - الإسلام لا يرضى عن التشاؤم المطلق ، أو اليأس المقنط ، بل فتح باب الأمل ودعا إلى النشاط والعمل ، ووعد بالعفو عن المسيئ إذا أناب إليه ، وباليسر والفرج لمن توكل عليه ، وآمن برحمته وحكمته وهو يباشر نشاطه المأمور به .

وكل ذلك له أدلته من الكتاب والسنة وآثار السلف وواقع التاريخ الذي أثبت أن المسلمين انطلقوا بإيمانهم العميق بالله وبالحياة الآخرة ، وبالأمل الواسع في نصره وتأييده وبالتزامهم الصادق للحدود التي وضعها الله للسلوك - انطلقوا إلى الآفاق الواسعة، ينشرون كلمة الحق ويعمرون الدنيا بالخير .

ولا حاجة بالمسلمين اليوم إلى استيراد أفكار وفلسفات وأنماط سلوك وضيعة هي نتاج عقول تخطئ وتصيب ، وهي نضج لمعاناة شخصية في ظروف خاصة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة : ٥٠] يقول «بول فولكييه» في كتابه «هذه هي الوجودية» إن غموض شخصيات من اعتنقوا هذا المذهب جعل تعبيراتهم غامضة وليس من السهل فهمها أو تحديد المعاني المرادة منها ، ولذلك لما اعترض على سارتر بهذا الغموض قال «لاعجب في عدم فهم ما أكتب ، لأن الواقع محال ولايدركه الفهم» أمثل هؤلاء يتخذون زعماء؟

يمكن الرجوع إلى ما يأتي :

١ - دائرة معارف الشعب ، المجلد ٣ ص ٥٦٩ .

٢ - دراسات في الوجودية ، للدكتور عبدالرحمن بدوي.

٣ - الفلسفة الوجودية ، للدكتور زكريا إبراهيم .

٤ - المذاهب الهدامة ، لعباس العقاد .
٥ - الوجودية ، للدكتور محمد الفيومي .
٦ - قضايا العصر ، من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.
٧ - الأهرام ١ / ١٠/ ١٩٨٣م ، ٢٦/ ٤/ ١٩٨٥م.
٨ - اللواء الإسلامي ١١/ ٤/ ١٩٨٥م.
٩ - الوجودية في الميزان ، للدكتور مصطفى غلوش.
١٠ - الوجودية في الميزان ، للشيخ محمد أبو المكارم.

س : ما هي الماسونية وما موقف الدين منها ؟

ج : الماسونية جمعية سرية يهودية يرجع تاريخها إلى العصر الروماني ، تأسست في مدينة «أورشليم» زمن الوالي «هيرودوس أغريبا» ملك اليهودية من سنة ٣٧-٤٤ بعد الميلاد ، وهو حفيد «هيرودوس الكبير» الذي قتل أطفال بيت لحم ، خشية أن يكون فيهم المسيح الذي سيقضي على ملكه .

وكان الغرض من تأسيسها مناهضة الدين المسيحي ، ثم تطور غرضها إلى مناهضة الأديان العامة وإعادة مجد إسرائيل والعودة إلى أرض فلسطين ، ثم عدل اسمها وظهرت بنشاطها في المحاربة وسميت «الجمعية الماسونية» أو البنائين الأحرار، وكان ذلك سنة ١٧١٧م وشعارهم : المثلث والفرجار، وأسسوا في بريطانيا أول محفل ماسوني ، جعلوا شعاره : الحرية والإخاء والمساواة ، وأصدر في لندن القرار التالي الذي يبين حقيقة أغراضهم :

١ - المحافظة على اليهودية .
٢ - محاربة الأديان عامة والكاثوليكية خاصة .
٣ - بث روح الإلحاد والإباحة بين الشعوب.

ثم تأسست لها محافل في أمريكا وغيرها ، وقد اغتر بشعارها بعض المسلمين فانضم إليها ، حتى إذا ما ظهر له هدفها تبرأ منها ، وخاف أكثرهم أن يذيع

أسرارها حتى لايقتل ، وتوجد شهادات لكبار الكتاب الغربيين ونشرات رسمية يهودية وأبحاث من مختصين ، تبين تخطيط اليهود الواسع لإفساد العالم تحت شعارات براقة يجب أن يتنبه إليها المسلمون ، فمن أكبر شعاراتهم : الأديان تفرقنا والماسونية تجمعنا .

جاء في دائرة المعارف الماسونية الصادرة في «فيلادلفيا» سنة ١٩٠٦م : يجب أن يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود ، وهو بالفعل كذلك ، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود ، وكل ماسوني تجسيداً للعامل اليهودي .

وجاء في نشرة ماسونية صادرة في لندن سنة ١٩٣٥ : إن أمنيتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسيًّا ، نريد أن نخلق الناس الذين لايخجلون من أعضائهم التناسلية ، ولذلك أسسوا نوادي للعراة في دول كثيرة ، وسعوا بكل وسيلة لتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على القيم الأخلاقية .

وحتى لايفتضح أمرها أكثر ، وللحرص على انتشارها بشكل واسع ظهرت الماسونية تحت عناوين مختلفة ، وأنشأت فروعاً متعددة ، منها : البناى برث ، والكيوانى ، والليونز ، والاكستشانج ، وشهود يهوه ، ومنها الاتحاد والترقي ، ونادي القلم ، ونادي الصلبان الزاهرة ، وكذلك الروتاري .

وقد ذكر بعضها «تشارلس ماردن» ، في كتابه (الروتاري وأخوته) الذي نشره سنة ١٩٣٦م ، وهذه نبذة بسيطة عنها :

١ - بناي برث ، أو أبناء العهد ، أنشئت في نيويورك سنة ١٨٤٣م على نظام الماسونية، واقتصرت في قبول الأعضاء بمحافلها على اليهود ، ثم انتشرت فروعها في العالم كله ، يقول «فوستر دالاس» في حفل أقامته هذه المؤسسة في ٨ من مايو سنة ١٩٥٦م : إن مدنية الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية، ولذلك يجب على الدول الغربية أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن المدنية في معقلها الحالي «إسرائيل».

٢ - الكيواني ، أصل التسمية من الكلمة الهندية «كي -واني» أي اعرف بنفسك كيف تجعل صوتك مسموعاً ، ومع عدم وضوح العلاقة بين العنوان والهدف ،

فقد أسسه بعض الماسونيين في «ديترويت» بأمريكا ، ورخص لهم به في ٢١ من يناير سنة ١٩١٥م. وفي مايو سنة ١٩١٧م ظهرت المنظمة العالمية لنوادي الليونز إلى الوجود وعقدت اجتماعاتها الأولى في شيكاغو ، الوطن الأم لنوادي الروتاري وجاء في جريدة الأهرام الصادرة في ٢/ ١٢/ ١٩٨٥م أن وزيرة التأمينات والدولة للشئون الاجتماعية تدشن اليوم في فندق شيراتون القاهرة أحدث ناد لسيدات الليونز ويحمل رقم ١٩ في قائمة نوادي الليونز سيدات ورجال ، ويتم في حفل التدشين تسليم الإشارات والشهادات للمؤسسات البالغ عددها ٢٧ مؤسسة، وذكر الخبر أسماء هيئة النادي ، الذي أطلق عليه اسم «نادي سيدات ليونز شمال القاهرة».

٤ – الاكستنشانج ، تأسس في ديترويت في ٢٧/ ٣/ ١٩١٦م بمساعي تاجر المجوهرات «تشارلس بركي» . وفي أغسطس سنة ١٩١٧م عقد المؤتمر الوطني الأول.

٥ – شهود يهوه مؤسسة يهودية ترتدي ثوباً مسيحيًّا ، أخذت اسم «يهوه» كما جاء في التوراة ، تأسست في ولاية بنسلفانيا بأمريكا سنة ١٨٨٤م ثم انتقلت إلى نيويورك سنة ١٩٠٩م. ومن طرق دعوتها اقتحام البيوت لإلقاء دروس دينية من التوراة ، وهي من أخطر الجمعيات اليهودية ، لأنها تخدع الجماهير المسيحية الساذجة وتدخل نبوءات التوراة المحرفة في النفوس بعودة اليهود إلى أرض الميعاد .

لقد كشف أمر الماسونية سنة ١٩٥١ م في مجلة القوات المسلحة حين تظاهر صحفي باعتناقها وعرف أسرارها . وفي صحف سرية كانت مرسلة إلى جهة ما بمعرفة ضابط أمريكي ، عبث ولده برباطها فتبعثرت ، فقرأ ما فيه ونشرها ، فقتلوه، والضابط اسمه «سبير سفيتش» ألف كتاباً بالعنوان «الدنيا لعبة إسرائيل» ترجم إلى العربية وقدم له وزير التعليم بالسعودية .

وكان للماسونية محافل وجمعيات في مصر صدر قرار وزارة الشئون الاجتماعية بحلها في ١٨/ ٤/ ١٩٦٤م.

س : نسمع عن تشكيل يطلق عليه اسم «الروتاري» فهل فيه تعاليم تخالف تعاليم الإسلام ؟

ج : جاء في المصادر التي التي كتبها المنتسبون إلى الروتاري ، والمعلقون عليه أن المحامي اليهودي «بول هاريس» الذي كان يعيش في شيكاغو أحس بالوحدة وبحاجته الملحة إلى الزمالة والصداقة ففكر في جمع بعض الأصدقاء في مكتبه في روح أخوية ، ليتدارسوا كيفية رفع مستوى كل منهم .

وأول اجتماع كان في ٢٣ من فبراير سنة ١٩٠٥م حضره أربعة من الأصدقاء ، واتفقوا على أن يكون الاجتماع أسبوعيًّا في مكان عمل واحد منهم ، ومن هنا جاء اسم : «الروتاري» . ولما كثر عددهم وضاقت بهم أماكن العمل أصبحت اجتماعاتهم حول موائد للطعام ، مع مناقشة ما يرون من مسائل .

ثم أنشأوا نادياً ثانياً في «فرنسيسكو» سنة ١٩٠٨م ، وتكونت نواد خارج أمريكا، كان أولها نادي «وينينج» في كندا سنة ١٩١٢، ثم انتشرت في كثير من البلاد ، حتى صار عددها ١٧٨٠٠ في ١٥٤ دولة ومنطقة جغرافية حسب إحصاء نوفمبر سنة ١٩٧٨م.

وهذه النوادي تعقد مؤتمرات كان أولها في شيكاغو سنة ١٩١٠م وكان أول مؤتمر خارج أمريكا سنة ١٩٢١م في «أدنبرة» باسكوتلاندا حيث أطلق عليه اسم: الروتاري الدولي . وفي سنة ١٩٢٢م عقد المؤتمر في «لوس أنجلوس» بأمريكا ، واستمرت المؤتمرات تنعقد سنويًّا منذ ذلك التاريخ ، وكان آخرها رقم ٦٩ في طوكيو سنة ١٩٧٨م.

ونوادي الروتاري تعتبر أعضاء في مؤسسة الروتاري الدولية ، ومقرها مدينة «أفنسنون» بولاية «ألينوي» بالولايات المتحدة الأمريكية .

تبين أن فكرة النادي نبعت من الحاجة إلى طرد شبح الوحدة والعزلة وإلى الاندماج مع الناس ، والتفكير في تحسين حال الزملاء الذين يجمعهم النادي ، ثم وضح نادي الروتاري في مصر الغرض من إنشائه وركزه في أمور أربعة :

١ - توسيع مدى التعارف لإتاحة الفرصة للخدمة .
٢ - بلوغ مستوى خلقي سام في الأعمال والمهن .
٣ - تمسك كل روتاري بمبدأ الخدمة في حياته الشخصية العملية والاجتماعية .
٤ - تعزيز روح التفاهم الدولي والنية الصادقة وحب السلام ، وذلك بتوثيق أواصر الزمالة في العالم بين الروتاريين أصحاب الأعمال والمهن.

وهذه الأغراض في شكلها وفي جملتها قد تغري بالانضمام إلى هذه النوادي ، أو على الأقل عدم التعرض لنشاطها ما دام يستهدف تحقيق هذه الأغراض . ومن المعلوم أن هناك صلة بينها وبين الماسونية ، ومن شواهد ذلك :

١ - أن شعار جميع الأعضاء هو «الأديان تفرقنا والروتاري يجمعنا» وهو شعار الماسونية. وقد قرر مجلس إدارة الروتاري الدولي في اجتماع عام ٤٠/ ١٩٤١م أن نوادي الروتاري تضم أعضاء من مختلف الأديان والمبادئ . ولكل أن يتمسك بعقيدته الدينية ، مع الاحترام الكامل لعقيدة الآخرين . وقد وضع الأديان في مستوى واحد من الاحترام ، بصرف النظر عما هو سماوي أو أرضي ، وفي ذلك - كما يقال- غسل القلوب والعقول تمهيداً لغرس ما يراد فيها مما تخطط له الماسونية من سيطرة الدين اليهودي وأفكار التلمود التي استغنوا بها عن التوراة .

٢ - أن المجموعة الأولى التي اشتركت مع «بول هاريس» في تأسيس الروتاري كانت أعضاء في المحافل الماسونية ، بل إنه في بعض الحالات قصرت عضوية النادي على الماسون فقط مثل نادي «أدنبرة» في بريطانيا سنة ١٩٢١م.

٣ - يقول الصحفي التركي «شهاب طان» -كما جاء في كتاب (في زنزانات إسرائيل).. ولكن المحافل المساونية غيرت اسم بعضها إلى جمعيات الروتاري بعد أن عرفت أسرارها وأهدافها .

٤ - حذر الفاتيكان من خطر هذه الأندية ، فصدر مرسوم من المجلس الأعلى في ٢٠ من كانون أول سنة ١٩٥٠م قرر فيه الكرادلة ما يأتي : «دفاعاً عن العقيدة

والفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنوادي الروتاري ، وعدم الاشتراك في اجتماعاتها».

٥ - أن بعض الجمعيات والتنظيمات الحديثة التي دخلت المحيط الإسلامي ظهر أن لها صلة قوية بتنظيمات غربية تستهدف مصالح الغرب وبخاصة اليهود ، كجمعية : «أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية» التي يعمل «هوبكنز» نائباً لرئيسها ، وقد كان قسيساً ومنتسباً لطائفة خطيرة . وله نشاط واسع في السياسة لصالح أمريكا وبريطانيا ، وقد قاطعت شخصيات إسلامية هامة مؤتمره الذي عقد سنة ١٩٤٥م . في «بحمدون» بلبنان ، معلنة أن الإسلام ليس في حاجة إلى توجيهات أجنبية .

إن أقل ما يقال في الروتاري وأمثاله أنها تشكيلات تحوم حولها الشبهة لما يأتي:

١ - أن المؤسسين الأول يهود ، ونحن نعرف ماضيهم وما ارتكبوه من جرائم في حق الإنسانية كلها ، وسجل القرآن كثيراً منها ، وما يزال العرب والمسلمون يعانون منهم إلى اليوم .

٢ - هل عقمت تعاليم الإسلام وأفكار المسلمين أن تضع أهدافاً إنسانية كالتي يدعيها المؤسسون للروتاري ؟ وهل نحن في حاجة إلى ما يضعه لنا الأجنبي المعروف بعدائه ، والذي يصبغه بألوان ينخدع بها المصابون بعقدة الخواجة ؟

٣ - إن اللمسة الروحية تنقص هذه النوادي فالاهتمام كله في الخدمة بالمفهوم الذي يعرفه من تورط فيها وقتاً أو راقب نشاطها ، دون اهتمام بالثواب الأخروي فهو أمر ثانوي ، وقد فطن لخطرها آباء الكنيسة المسيحية ، فقد خطب «تشيسترون» في حفل أقيم سنة ١٩٣١م في نيويورك ، ووصف منظمة الروتاري بأنها تنقصها اللمسة الروحية وأن شيئاً غير أخلاقي يهيمن عليها وعلى علاقات أفرادها . اهـ

٤ - جاء في جريدة «الشهاب» بتاريخ ١٣/ ٥/ ١٩٦٤م أن أول مؤتمر ماسوني روتاري عقد في «رامات غان» بفلسطين المحتلة ، وامتدحوا فيه إسرائيل .

هذه هي نوادي الروتاري من كلام أعضائها والمتصلين بها ، والمسلمون بالذات ليسوا في حاجة إليها ، وإذا كان لبعض أعضائها نشاط ديني فهو ليس نتيجة الانتساب إليها ، وإذا كان لبعض الشخصيات اتصال بها في مناسبة ما فليس ذلك شهادة بأنها بعيدة عن الشبهة ، ومن أراد أن يباشر نشاطاً اجتماعيًّا لاشبهة فيه فما أكثر ميادينه البريئة ، ولتكن لنا شخصية مستقلة في فكرها وسلوكها ، تتخذ مقوماتها من الدين الذي أكمله الله وأتم به النعمة ، ووعد على التمسك به حياة طيبة في الدنيا والأخرى.

الروتاري في مصر :

في مطلع سنة ١٩٢٨م زار مصر المستر «جلاكستين» وهو من أعضاء نادي «هامر سميت» بإنجلترا ، وتقابل مع مجموعة من الرجال كانوا يجتمعون على الغداء مرة في كل أسبوع ، فدعاهم إلى إنشاء أول ناد للروتاري في المنطقة ، فوافقوا وأصبح عددهم ١٦ وفي يناير ١٩٢٩م بعث الروتاري الدولي مندوباً عنه هو المستر دافيد سن من كالجري بكندا لحضور أول اجتماع للنادي في ٢ من يناير سنة ١٩٢٩م في فندق شبرد وكان عدد الأعضاء ٢٢ عضواً ، وبعث الروتاري الدولي مندوباً عنه هو المستر «كوك بونينج» من هولندا ليسلم رئيس النادي وقتذاك المستر «مارتن» شهادة تأسيس النادي المؤرخة في ١١ من مارس ١٩٢٩م . وتمت تلك المراسم على متن السفينة «مصر» في ٨/ ١٢/ ١٩٢٩م.

وفي الفترة من سنة ٢٩ -١٩٣٩م كان أغلب الأعضاء من الأجانب ولم يكن من بين الأعضاء المؤسسين ، وعددهم ٢٢ ، إلا خمسة من المصريين ، منهم اثنان فقط من المسلمين ، وكانت اللغة المستعملة هي الإنجليزية ، ولم يشترك أحد من المصريين في مجلس الإدارة حتى عام ١٩٣١م ، وكانت رئاسة النادي لغيرهم حتى سنة ١٩٣٤م ، ومنذ سنة ١٩٣٩م أنشئت نواد في الإسكندرية وبورسعيد والمنصورة والزقازيق وأسيوط ، والمشتركون فيها خليط من المسلمين والمسيحيين واليهود .

والمقر الدائم لنادي الروتاري المصري رقم ٣ شارع بهلر ، افتتح في ٢١ من مارس ١٩٥٥م . ومن ١٤ من أبريل سنة ١٩٥٩م انتقلت اجتماعاته من فندق سميراميس إلى فندق النيل هيلتون . وهو تابع لوزارة الشئون الاجتماعية .

ومن أراد أن يعرف أسماء الأعضاء والرؤساء فليرجع إلى كتاب «العيد الذهبي للروتاري في مصر» ١٩٢٩ - ١٩٧٩م في ١٣ مارس ١٩٧٩ - ١٥ من مارس ١٩٧٩م.

هذا مختصر من بحث طويل عن الروتاري ربما أنشره في فرصة أخرى.

س : ما هي المبادئ والأصول التي قامت عليها الشيوعية ، وما هو موقف الإسلام منها ؟

ج : الشيوعية لون من ألوان الاشتراكية ، التي هي نظام تعاوني قائم على جعل الوسائل الرئيسية للإنتاج والتوزيع ملكاً للمجتمع ، وموجهة بطريقة ديموقراطية نحو الصالح العام ، بإيجاد فرص عمل لجميع الأفراد ، ورفع مستوى الإنتاج ومستوى المعيشة مع الضمان الاجتماعي وعدالة التوزيع.

وهذا المعنى يفكر فيه الناس من قديم الزمان وإن كانت وسائلهم إلى تحقيقه مختلفة ، فكان قدماء اليونان يدعون إلى المساواة ، والراهب «ميزليه» نادى بنزع الملكية الخاصة ، وأتباع «توما الأكويني» المتوفى سنة ١٢٧٢م. كانوا يدعون إلى ذلك، لكن هذا المعنى ظهر بوضوح في القرون الأخيرة بعد النهضة الصناعية في أوربا في نهاية القرن الثامن عشر ، ويعزى إلى «لوى بلان» هذا المبدأ : من كل حسب مقدرته، ولكل حسب حاجته.

كان من أعظم الاشتراكيين المحدثين «كارل ماركس» المتوفى سنة ١٨٨٣م . وجاء عنه في موسوعة المعرفة [١] أنه من أسرة يهودية متوسطة ، تحول أبوه المحامي إلى المسيحية سنة ١٨٢٤م ، وعمدت أسرته كلها طبقاً للبروتستانتية .

١- ص ٦٠٨ .

درس القانون والتاريخ والفلسفة في جامعات بون وبرلين ، ونال الدكتوراه سنة ١٨٤١م في الفلسفة . ولما ذهب إلى فرنسا طرد منها لآرائه السياسية ، فذهب إلى بروكسل ، ولحق به «أنجلز» وكتبا البيان الشيوعي ، فقامت الثورات في أوربا فهربا إلى ألمانيا ، ثم انتهى ماركس إلى لندن وتوفى بها ، ودفن في مقبرة «هاي جيت».

أصدر ماركس وفريدريك أنجلز المتوفى سنة ١٨٩٥م هذا البيان سنة ١٨٤٨م ، الذي يحث جميع العمال على الاتحاد والاستيلاء بالقوة على جميع الأجهزة السياسية والاقتصادية .

وكان ماركس قد أصدر الجزء الأول من كتابه «رأس المال» سنة ١٨٦٧م وهو أعظم وثيقة في تاريخ الاشتراكية قامت على أثره ثورات كثيرة في أنحاء أوربا ، ويعتبر إنجيل الثورة الشيوعية في روسيا ، التي كانت تعرف أولاً باسم «البلشفية» وكان «لينين» و «تروتسكي» زعيما ثورة ١٩١٧م من تلاميذه ، والجزآن الآخران أتمها «أنجلز» ونشرا بعد موت ماركس ١٨٨٣م.

تقوم الشيوعية على مبادئ تتصل بالدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، من أهمها :

١- الكفر بالأديان ومكافحة سلطات الكنيسة بالذات ، حيث كان هو السائد عند قيام الثورة ، لقد قال ماركس ، وهو في سن الخامسة والعشرين كما يقول روجيه جارودي [١] إن الدين أفيون الشعب ، فهو يزهد في الدنيا ويزرع في النفوس الخضوع للقضاء والقدر والرضا بالواقع وعدم الكفاح لتغييره مهما كانت قسوته ، لقد كفر بالله على الرغم من أن أصله يهودي انتقلت أسرته إلى المسيحية.

وقال «لينين» في مؤتمر الشباب الشيوعي المنعقد في ٢ من أكتوبر سنة ١٩٣٠م : إننا معشر الشيوعيين لانستمد قوانين الأخلاق والسلوك الاجتماعي من أوامر

١- مجلة الطليعة عدد أذار ١٩٧٠م.

الدين ، لأننا نخرج على جميع الأخلاق والآداب التي تنفصل عن المجتمع البشري ونرى أنها خداع وتضليل.

وجاء في الموسوعة السوفياتية [1] أن القرآن من عند محمد ومن بعده ، ويقول «أ. سمير نواف» عضو المجمع العلمي وزعيم الدراسات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي في كتابه (تاريخ الإسلام في روسيا) : إن وجود محمد خرافة وكذلك هجرته» [2].

وطالب الزعيم السوفياتي «ميخائيل جورباتشوف» بشن حملة لا هوادة فيها ضد الدين في الجمهوريات الإسلامية السوفيتية بوسط آسيا ، وقالت جريدة «برافدا فوستوكا» الناطقة باسم الحزب السوفيتي في جمهورية «أوزباكستان» : إن تعليمات جورباتشوف صدرت خلال اجتماع مع قادة الحزب في طشقند وهو في طريقه إلى الهند - موسكو - روتر [3] .

٢- ديكتاتورية عامة الشعب «البروليتاريا» من أجل إيجاد مجتمع شيوعي ، وعند عدم تهيؤ الشعب للسلطة ينوب عنه الحزب الشيوعي.

٣- ملكية وسائل الإنتاج : الأرض ورأس المال والعمل ، لتكون للشعب عامة ، والقضاء على الملكية الخاصة . ومناهضة الإقطاعيين من النبلاء ورجال الكنيسة الذين يملكون الأرض بعبيدها ، وكذلك مناهضة البورجوازيين الحائزين للأموال في الثورات الصناعية والمتحكمين في العمال . ويلزم ذلك إهدار كرامة الفرد والقضاء على حرية الفرد .

٤- تفسير التاريخ تفسيراً ماديًّا ، بمعنى حتمية الصراع بين الطبقات ليقوم المجتمع الشيوعي ، وإنكار أن تكون هناك سنن موضوعة من الدين للوجود ، فلابد من أخذ الفقراء حقوقهم من الأغنياء بالصراع إنها حرب على الغنى ودعوة إلى الفقر باسم المساواة.

١- الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤م مجلد ٢٢ .
٢- الإسلام أقوى ، تأليف جهاد قلعجي.
٣- الأهرام في ٢٩/ ١١/ ١٩٨٦م .

هذه هي أهم الأسس التي تقوم عليها الشيوعية . والأديان بوجه عام والإسلام بوجه خاص لايقرها ، وليس هو في حاجة إليها ، لما يوجد فيه من مبادئ تحقق الرخاء والتقدم للمجتمع في ظل استقرار روحي ومودة وتكافل ، ينبع من إحساس داخلي يغرسه الإيمان في النفوس .

ولايصح أن يقال عن الإسلام : إنه دين اشتراكي بالمعنى الموجود عند الغرب، فهو نظام متميز عن كل هذه الألوان المتعددة للاشتراكية ، والحكم على دين أو مذهب يكون بالحكم على جميع أصوله ككل ، فالمسلم الذي ينكر مبدأ واحداً من المبادئ الأساسية في الدين لا يعد مسلماً ، وكذلك الشيوعي بالذات لايعد شيوعيًّا إذا أنكر مبدأ من مبائها . ومن هنا لايمكن أن يقال عن المسلم إنه شيوعي ، لأنه إن أنكر دينه لايكون شيوعيًّا حتى يأخذ بها جميعاً .

ولسنا في حاجة إلى مناقشة مبادئ الشيوعية ، فالإسلام يرفضها جملة وتفصيلاً ، ذلك لأنه قائم على الإيمان بالله ، وبكل ما جاء به الدين من الحياة الآخرة والأمور المغيبة ، ومن قضاء الله وقدره وتدبير خلقه على سنن حكيمة ، ومن احترام الحقوق لجميع الناس من أغنياء وفقراء ، ومن حل المنازعات عن طريق الصلح والقضاء ، ومن الإسهام بقوة في النهوض بالمجتمع من كل نواحيه الاقتصادية والسياسية والثقافية لتحقيق خيرية هذه الأمة وإسعادها في الدنيا والآخرة على السواء . مع ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس الشورى والتناصح والتعاون ، والاحتفاظ بكرامة الإنسان وصيانة حريته في حدود المصلحة العامة ، والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع .

هذا ، وقد جاء في جريدة «الفاينا نشيال تايمز» [1] أن القضاء على الملكية الخاصة لما كان مثبطاً للهمم مساعداً على عدم المبالاة ، قاضياً على روح التنافس لجأ الروس إلى العودة إلى احترام هذه الملكية بعد أن رأت العواقب الوخيمة من جراء القضاء عليها ، فقد أفردت جريدة «إزفستيا» مساحة كبيرة لتجربة فسح المجال لقدر أكبر

---

١ - الأهرام ٣١/ ٨/ ١٩٨٥م.

من الحافز الفردي في مجال مشاريع الخدمات ، وأشارت إلى تجربة تمت في «استونيا» حيث سمح لرجال الصيانة بالاحتفاظ بمكاسب من عملهم في أحد محلات إصلاح أجهزة التليفزيون ، ليمولوا المشروع بأنفسهم ، وظهر أن الجهاز الذي كان يستغرق إصلاحه قبل ذلك حوالي أسبوعين أصبح الآن يتم إصلاحه في ثلاثة أيام على الأكثر ، كما قام العمال بإصلاح إداري لجذب الزبائن إلى المحل ، وقد ارتفعت أرباح المشروع بنسبة من ١٠-١٥٪ عن ذي قبل وجاء في أهرام ٤/ ١/ ١٩٨٧م نقلاً عن «النيويورك تايمز» وفي أهرام ١٧/ ٣/ ١٩٨٧م نقلاً عن «الهيرالد تريبيون» بعنوان كارل ماركس.

يقول ماركس : إن الدين هو آفة الإنسان المقهور ، وأن الدين أيضاً هو أفيون الشعوب ، وكان الأفيون معروفاً في ألمانيا حينذاك بأنه قاتل الألم.

وفيه : ومن أجل الإعداد للثورة يجب إزاحة التأثير المخدر للدين وترك الطبقة العاملة تعاني حتى يصل الألم إلى درجة لايمكن احتمالها ، وحينئذ سيأتي الشفاء على يد الشيوعية . فالقضاء على الدين هو الشرط الأول لسعادة الشعب وعلى نهجه سار لينين . لكن بدأ تغيير في تعليم الملحدين في عهد جورباتشوف ، فظهر في الصحف رسائل تقول : إن لم تكف السلطات السوفيتية عن محاربة الدين فإن إدمان الخمور لن يتوقف ، أصبحت الفودكا هي المهرب من المعاناة ، وذلك يهدد الإنتاج ويهدد الأسر بالانهيار ، لقد أصبحت الشيوعية هي الإله الذي فشل في توفير الخبز لعباده.

راجع :

١ - الشيوعية والإنسانية في الإسلام ، لعباس العقاد.
٢ - نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية ، للدكتور معروف الدواليبي.
٣ - طبقية المجتمع الأوربي وانعكاس آثارها على المجتمع الإسلامي المعاصر ، للدكتور محمد البهي.
٤ - الاشتراكية العربية ، للعميد سيد عبدالحميد مرسي ، وعبدالرحمن عبدالمتعال.
٥ - الإسلام أقوى ، لجهاد قلعجي .

٦ - المحاضرات الثقافية بقاعة محمد عبده بجامعة الأزهر سنة ١٩٥٩م.
٧ - موسوعة المعرفة .
٨- الفتاوى الإسلامية ، المجلد ٤ ص ١٣٦٧ ، المجلد ٧ ص ٢٦٠٥.
٩ - آخر ساعة في ٢٠/ ٨/ ١٩٧٥م.
١٠ - الماركسية بين النظرية والتطبيق ، للدكتور عبدالمنعم النمر.

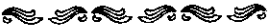

س : من هم الشيعة وما هي فرقهم الموجودة الآن ؟

ج : الشيعة هم أتباع علي رضي الله عنه والموالون لآل البيت ، والمسلمون جميعاً مأمورون بحب آل البيت وتكريمهم وقد وردت في ذلك عدة نصوص ، منها قول الله تعالى ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى : ٢٣] وقوله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وذلك على خلاف للمفسرين في تحديد القربى وأهل البيت . وقوله ﷺ «أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاث مرات [١] وقوله « «يا أيها الناس ارقبوا محمداً في أهل بيته» [٢] .

غير أن بعضاً من المسلمين اشتد حبهم لسيدنا علي وذريته ، وتغالوا في تكريمهم لدرجة أن بعضهم اعتقد ألوهية سيدنا علي ، وبعضهم اعتقد أنه النبي المرسل وغلط جبريل فنزل بالوحي على سيدنا محمد ﷺ ومنهم من قال : إنهما شريكان في النبوة ، وقالوا إنه الإمام بعد الرسول ﷺ بالنص الجلي أو الخفي ، دون أبي بكر وعمر وعثمان وأن الإمامة لاتخرج عنه ولا عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم أو بتقية .

وأشهر فرقهم الموجودة الآن خمسة :

١ - الزيدية :

وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين ، لما دعى الشيعة لحرب الأمويين سألوه رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأثنى عليهما فرفضوه وسموا بالرافضة وهم

---

١ - رواه مسلم . ٢ - رواه البخاري .

يوجدون الآن في اليمن ، ومذهبهم قريب من مذهب أهل السنة ، وهم وإن اعتقدوا أفضلية علي على أبي بكر وعمر أجازوا إمامة المفضول مع قيام الفاضل.

٢ - الإمامية :

وهم الذين قالوا بإمامة اثنى عشر من آل البيت ، ويسمون بالاثنى عشرية وبالموسوية ، لأن الأئمة عندهم هم : علي ، الحسن ، الحسين ، علي زين العابدين ابن الحسين ، وكانت الإمامة لابنه الأكبر «زيد» فلما رفضوه كما تقدم ولوا بدله أخاه محمداً الباقر ، ثم جعفر الصادق ، وكان له ستة أولاد ، أكبرهم إسماعيل ثم موسى ، ولما مات إسماعيل في حياة أبيه أوصى والده بالإمامة إلى ابنه موسى الكاظم ، وبعد وفاة جعفر انقسم الأتباع فمنهم من استمر على إمامة إسماعيل وهم : الإسماعيلية أو السبعية ، والباقون اعترفوا بموسى الكاظم ، وهو الموسوية ، ومن بعده على الرضا، ثم ابنه محمد الجواد ، ثم ابنه على الهادي ، ثم ابنه الحسن العسكري نسبة إلى مدينة العسكر «سامرا» وهو الإمام الحادي عشر ، ثم ابنه محمد الإمام الثاني عشر ، وقد مات ولم يعقب فوقف تسلسل الأئمة وكانت وفاته سنة ٢٦٥هـ.

ويقول الإمامية : إنه دخل سرداباً في «سامرا» فلم يمت ، وسيرجع بعد ذلك باسم المهدي المنتظر.

وهذه الطائفة منتشرة في إيران والعراق وسوريا ولبنان ، ومنهم جماعات متفرقة في أنحاء العالم ، ولهم كتب ومؤلفات كثيرة من أهمها كتاب «الوافي» في ثلاثة مجلدات كبيرة جمعت كثيراً مما في كتبهم الأخرى ، كتب عليه أحد أهل السنة نقداً سماه «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» وكان ذلك في فبراير سنة ١٩٣٥م كما كتب رئيس أهل السنة بباكستان «محمد عبد الستار التونسوي» رسالة في ذلك .

ومن أهم أصولهم :

١- تكفير الصحابة ولعنهم ، وبخاصة أبوبكر وعمر رضي الله عنهما إلا عدداً قليلاً جدًّا كانوا موالين لعلي رضي الله عنه . وقد رووا عن الباقر والصادق ، ثلاثة لايكلِّمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . من ادعى إمامة ليست له ومن جحد إماماً من عند الله ، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام.

ويقولون : إن عائشة وحفصة رضي الله عنهما كافرتان مخلدتان ، مؤولين عليهما قول الله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ [التحريم : ١٠] .

٢- ادعاء أن القرآن الموجود في المصاحف الآن ناقص ، لأن منافقي الصحابة (هكذا) حذفوا منه ما يخص عليًّا وذريته ، وأن القرآن الذي نزل به جبريل على محمد سبعة آلاف آية ، والموجود الآن ٦٢٦٣ والباقي مخزون عند آل البيت فيما جمعه علي ، والقائم على أمر آل البيت يخرج المصحف الذي كتبه علي ، وهو غائب بغيبة الإمام.

٣- رفض كل رواية تأتي عن غير أئمتهم ، فهم عندهم معصومون بل قال بعضهم: إن عصمتهم أثبت من عصمة الأنبياء .

٤- التقية : وهي إظهار خلاف العقيدة الباطنة ، لدفع السوء عنهم .

٥- الجهاد غير مشروع الآن ، وذلك لغيبة الإمام ، والجهاد مع غيره حرام ولايطاع، ولاشهيد في حرب إلا من كان من الشيعة ، حتى لو مات على فراشه.

وهناك تفريعات كثيرة على هذه الأصول منها :

عدم اهتمامهم بحفظ القرآن انتظاراً لمصحف الإمام ، وقولوهم بالبداء بمعنى أن الله يبدو له شيء لم يكن يعلمه من قبل ويتأسف على ما فعل ، والجمعة معطَّلة في كثير من مساجدهم وذلك لغيبة الإمام ، ويبيحون تصوير سيدنا محمد وسيدنا على وصورهما تباع أمام المشاهد والأضرحة ، ويدينون بلعن أبي بكر وعمر ...

٣ - الإسماعيلية :

وهي تدين لإسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم أجداد الفاطميين والقرامطة، يعتقدون التناسخ والحلول ، وبعضهم يدعي ألوهية الإمام بنوع من الحلول ، وبعضهم يدعي رجعة من مات من الأئمة بصورة التناسخ .

وهذه الفرقة طائفتان ، إحداهما في الهند وتسمى «البهرة» ويتركزون في بومباي، يعترفون بالأركان الخمسة الواردة في الحديث وهو : «بني الإسلام على خمس :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً» [1] .

ويزيدون عليه ركناً اسمه «الطهارات» ويتضمن تحريم الدخان والموسيقى والأفلام ، وهم في صلواتهم يجمعون بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، ولايصلون الجمعة ويحتفلون بغدير «خم» في ١٨ من ذي الحجة كل عام ، حيث تمت فيه الوصية لعلي [2].

والطائفة الأخرى في «سلمية» بسوريا وفي زنجبار وشرقي أفريقيا وتسمى «الأغاخانية» نسبة إلى زعيمهم «أغاخان».

٤ - النصيرية :

وهم أتباع أحد و كلاء الحسن العسكري واسمه محمد بن نُصير ، والذين تسموا في عهد الاحتلال الفرنسي بسوريا باسم «العلويين».

ومن كتاب «تاريخ العلويين» لمحمد أمين غالب الطويل ، وهو نصيري ومن غيره من الكتب والمراجع نوجز أهم مبادئهم فيما يلي :

أ - الولاية لعلي ، زاعمين أن النبي ﷺ بايعه ثلاث مرات سرًّا ، ومرة رابعة جهراً .

ب - عصمة الأئمة ، لأن الخطايا رجس وقد قال الله في أهل البيت : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وبناء على ذلك يعتقدون أن الإمام أعلى من بعض الوجوه من الأنبياء ، لأنهم معرضون للخطأ ولم يرد في القرآن ما ينزههم عنه ، أما الأئمة فمعصومون بنص القرآن .

ج - التقية : أو التكتم في الدين فإخفاء عقيدتهم من كمال الإيمان .

د - علم الباطن : فهو في زعمهم مختص بهم ، وهم على صواب دائم في تفسير القرآن وعلم أسراره لأنهم معصومون .

---

١ - رواه البخاري .

٢ - مجلة العربي سبتمبر ١٩٧٥م ، المصور ٢٠/ ١/ ١٩٨٧م.

وبناء على هذه الأصول قالوا بألوهية متحدة الحقيقة مثلثة الأجزاء فالألوهية معنى وحقيقة ، وهو علي ، ولها اسم وحجاب ، وهو محمد ، ولها باب يوصل إليها ، وهو سلمان ، فعلي رب العالمين ، والقرآن منه ، وكل نبي بعث فهو الذي بعثه ليتكلم بلسانه ، وكان هو مع كل رسول متجسداً في صورة وصى له ، ويرمزون إلى هذا الثالوث برمز «ع.م.س».

ولهم تفريعات على ذلك : فالعبادات الواردة في القرآن بما فيها من أوامر ونواه ، هي أسماء أماكن ، والأشهر الحُرم عندهم هي : فاطمة والحسن والحسين وعلى ابنه ، والقيامة عندهم في قيامة المحتجب صاحب الزمان .

والمنتسبون إلى هذا المذهب طبقات ، منهم متعلمون لايدينون به ، لكن لايجدون عوضاً عنه ، ومنهم الشيوخ والرؤساء المتمسكون ، ومنهم العامة الذين يعيشون على غير هدى ، والحكم عليهم مذكور مع الدروز.

س: نسمع عن فرقة دينية تسمى بالخوارج ، فكيف ظهرت وما هي مبادئها ، وحكم الدين فيها ؟

ج : الخوارج فرقة دينية ظهرت على أثر الخلاف بين علي ومعاوية ، حيث انفصلت عن شيعة علي رضي الله عنه جماعة خرجوا عليه بعد أن رضى بالتحكيم، حين اختار أبا موسى حكماً ، واختار معاوية عمرو بن العاص حكماً ، وأطلق عليهم اسم الخوارج أو الحرورية باسم المكان الذي انحازوا إليه ، فكانوا أول فرقة منظمة شذت بفكرها القائم على تكفير مرتكب الكبيرة ومن يرفض حكم الله من أجل حكم البشر، رافعين شعار «لا حكم إلا لله» ونبه علي رضي الله عنه على زيف هذا الشعار الذي اتخذوه ستاراً لأغراض ليست في مصلحة الدين فقال «كلمة حق أريد بها باطل» وحدث أن أرسل إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لمناظرتهم فرجع كثير معه ، ثم تمردوا وراسلهم ، وفي النهاية قاتلهم بعد قتلهم عامله عليهم عبدالله بن خباب بن الأرت ، وأوقع بهم في «النهروان» سنة ٣٨هـ ، ولم ينج منهم

إلا قليل، ثم ظهروا بعد ذلك بمعتقداتهم وتوسعوا فيها وكثرت فرقهم ، ومازالت منهم بقية إلى الآن في بلاد المغرب ، يقول عنهم ابن حزم : إنهم أعدل هذه الفرق ، وهي الإباضية [1] .

امتد شذوذ الخوارج في فكرهم إلى شذوذهم في السلوك ، فدبروا المؤامرات التي راح ضحيتها علي رضي الله عنه حيث طعنه عبدالرحمن بن مُلجم وهو يصلي الصبح ، يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الفلسفية) لعل موقفهم المتشدد نحو الحكم والمجتمع يرجع إلى أن أكثرهم كانوا من قبائل ربيعة التي تنافس قبائل مُضر منذ زمن بعيد ، فهم ينفسون على قريش المضرية التي تريد أن تحصر الخلافة فيهم ، ونادوا بأن تكون حقًّا لكل من عنده أهلية لها من أية قبيلة، ليسهل عزل الخليفة حيث لاتكون له عصبية تحميه .. ثم يقول :

كما أن من أسباب سخطهم على المجتمع أن أكثرهم كان يعيش في البادية بخشونتها وصلابة رأيها ، ولما جاء الإسلام لم يغير من حالهم كثيراً ، لأنهم لزموا عيشة البدو ولم يتأثروا بعيشة الحضر ، فاعتنقوا المذهب بقوة امتزجت بما ورثوه من سذاجة فكر وضيق صدر ، فكان لذلك أثره في الحكم على المجتمع الذي انصرفوا عنه إلى العبادة التي تؤهلهم إلى الحياة الطيبة في الآخرة . انتهى ما قاله وإن حدث تغير في الفكر والسلوك عند بعضهم .

يقول صاحب كتاب المواقف في علم التوحيد «الإيجي» إن الخوارج سبع فرق لكن اندثر أكثرها ، وما يعرف منها الآن فرقة الإباضية التي تنسب إلى زعيمهم «عبدالله بن إباض».

وهم في عقيدتهم على رأي الخوارج الأصليين الذين يكفِّرون مرتكب الكبيرة، لكنهم ينفون عن أنفسهم هذه التهمة ويقولون : إن المراد بالكفر كفر النعمة ، ويعترفون بالقرآن والحديث مصدرين للعلم ، ويصرون على أن القدوة الحسنة بعد النبي ﷺ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويكفِّرون عليًّا وأكثر الصحابة ، ويوجبون

---

١ - نيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص ١٦٨ .

على المسلمين إقامة الإمامة عند القدرة والعلم ، ويرون أن العزلة أفضل من الاختلاط بالمجتمع ، وهم أعدل فرق الخوارج كالزيدية في الشيعة ، وقد ألف أحد الكتاب من ليبيا كتاباً في ثلاثة أجزاء بعنوان «الإباضية في موكب التاريخ» حاول أن يقطع صلتهم بالخوارج ، ويجعل لهم مذهباً مستقلًّا أساسه حرية الرأي .

وقال «الإيجي» صاحب كتاب المواقف : إن الإباضية من الخوارج افترقوا أربع فرق ، وعدَّ منها «اليزيدية» أصحاب «يزيد بن أنيسة» الذين قالوا : سيبعث نبي من العجم بكتاب يكتب في السماء ، ويترك شريعة محمد إلى ملة الصابئة ، وكل ذنب عندهم شرك.

هذا ، وقد سبق في بعض الإجابات شرح قوله الله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والنهي عن تكفير من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله إلا بارتكاب ما يوجب الحكم عليه بذلك . والواجب هو محاورتهم لتصحيح أفكارهم ، فإن لم يستجيبوا وجب اتخاذ موقف منهم .

وقد وضح الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) [1] ، ما يتخذ من الإجراءات نحوهم ، ويمكن الرجوع فيها إلى المصدر المذكور أو إلى الجزء الأول من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» ويمكن تلخيصه فيما يلي:

إذا كان هناك أهل فكر معين ينشقون به عن فكر الجماعة ، إن تستروا بفكرهم ولم يدعوا إليه ولم ينحرفوا في سلوكهم فليس للسلطة يد عليهم ، فإن دعوا إلى فكرهم وجب على المسئولين أن يصححوا أفكارهم بالحوار أو بالتوعية أو أية وسيلة أخرى ، وفي الوقت نفسه يجوز للسلطة أن تعاقب من يروجون لأفكارهم بما تراه من عقوبة لاتصل إلى القتل أو إلى حد من حدود الجرائم المعروفة.

ولو انفصلت هذه الجماعة وتميزت بدار أو محلة وكانت ملتزمة بالقوانين الجارية دون عدوان ولا فساد فلا شأن للسلطة بهم إلا ما يكون من توعية لتصحيح الفكر ، فإن تمردت على القوانين وكونت لنفسها دولة داخل الدولة كان للسلطة أن تحاربهم لينزعوا عن المباينة ويفيئوا إلى الطاعة.

---

١ - ص ٥٨ .

س : من هم الدروز وهل هم مسلمون ؟

ج : هم أتباع أبي محمد الدرزي -بفتح الدال المشددة- وكانوا أولاً من الإسماعيلية ثم خرجوا عليهم ، ويسكنون سوريا ولبنان.

تقوم عقيدتهم على تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي وبرجعته ، ويتخذون سنة ٤٠٨هـ مبدأ لتاريخهم الذي أعلن فيه الدعاة ألوهية الحاكم ، وهم يعتبرون في الرسميات مسلمين ، وإن كانت مبادئهم الدينية سرية لايصرحون بها ، فنشأت شائعات عن عقائدهم وعباداتهم ، حتى كانت حملة الجيش السوري على جبل الدروز في أواخر عهد «الشيشكلي» فعثر على بعض مخطوطاتهم التي شرحت مذهبهم ، وألف بعض مؤرخي العصر الحديث كتباً عليهم .

يقولون بالتقية أي التظاهر بموافقة الآخرين ، ويقولون أيضاً بالتناسخ وهم ثلاث درجات : الأولى : العقل أو العقال -بتشديد القاف المفتوحة- وهم رجال الدين ذوو النفوذ الكبير ، والثانية : الأجاويد المطلعون على تعاليم الدين والملتزمون بها ، والثالثة : العامة أو الجهال .

وليس لهم مساجد بل خلوات خاصة لايدري ما يجري فيها ، ولا يصومون إلا ما يقال عن الشيوخ العقّل من صيام أيام غير رمضان ، ولايحجون إلى الكعبة ، بل إلى خلوة البياضية في بلدة «حاصبية» التابعة لبيروت ، ويقال إنهم لايقرون تعدد الزوجات ولا الرجعة في الطلاق ، ولا يورثون البنات.

هذا بعض ما تسرب من المعلومات عنهم في الكتب والأخبار ، ونظراً للسرية التامة ولتشددهم في مبدأ التقية فإن حقيقة مذهبهم لايعرف منها إلا القليل ، لكن كتب عنهم ، عصام الجيتاوي كلاماً تفصيليًّا نشرته مجلة «المجتمع» التي صدرت بالكويت بتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٩٧٨م ، فيرجع إليه.

وقد صدرت عن دار الإفتاء المصرية فتوى في ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٣٤م مأخوذة عن ابن عابدين [١] نصها : تنبيه ، يعلم مما هنا حكم الدروز والنيامنة فإنهم

---

١ - رد المحتار ، الجزء الثالث ، باب المرتد.

في البلاد الشامية يظهرون الإسلام والصوم والصلاة مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح ، وحل الخمر والزنا ، وأن الألوهية تظهر في شخص بعد شخص ، ويجحدون الحشر والصوم والصلاة والحج ، ويقولون : المسمى بها غير المعنى المراد، ويتكلمون في جناب نبينا ﷺ كلمات فظيعة ، وللعلامة المحقق عبدالرحمن العمادي فيهم فتوى مطولة ، وذكر فيهم أنهم ينتحلون عقائد النصيرية والإسماعيلية الذين يلقَّبون بالقرامطة والباطنية الذين ذكرهم صاحب المواقف ، ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لايحل إقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولاغيرها ، ولاتحل مناكحتهم ولا ذبائحهم . اهـ

وقال ابن عابدين أيضاً في رد المحتار في فصل المحرمات عند قول المصنف : وحرم نكاح الوثنية بالإجماع ما نصه : قلت : وشمل ذلك الدروز والنصيرية والنيامنة فلا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبيحتهم ، لأنهم ليس لهم كتاب سماوي[1]. اهـ

س : نسمع عن طائفة مسلمة تعيش في الهند تسمى بالبهرة ، فما أصل هذه الطائفة وما صلتها بالأمة الإسلامية؟

ج : ١ - البُهْرَة - طائفة من الشيعة مركزها الآن «بومباي» بالهند يقرب عددهم من مليون ونصف المليون ، والبهرة هي الوسط من كل شيء ، أو الوسط من الطريق، وهو في الأصل اسم لقبيلة من اليمن ، يقول الأمير الدكتور يوسف نجم الدين «أمير الجامعة السيفية» : الدعاة الفاطميون حين نزلوا على الساحل الغربي للهند «ساحل بحر العرب» سألهم أهل الهند : من أنتم ؟ قالوا: جئنا للتجارة . والتجار في اللغة الهندية المحلية كانوا يسمون «وهرة» وبلغة الهند حيث الواو والباء مترادفتان سموا «البهرة» فاسمهم مشتق من اللغة الكجراتية «الجو جاراتيه» السائدة في غربي الهند .

---

١ - الفتاوى الإسلامية ، المجلد الأول ، صفحة ٢٠٢.

٢ - البهرة أصلهم فاطمي ، خرجوا من مصر والدولة الفاطمية قائمة ، وعند زوالها من مصر واغتيال الخليفة العشرين «العامر بالله» سنة ١١٣٠م ادعى قبل موته التنبؤ ببداية مرحلة من الفوضى ، وأن استمرار دعوته لابد أن يكون في الستر والخفاء ، وقد ورث عنه ابنه الأوسط «الطيب» الإمامة وهاجر مع أتباعه إلى اليمن ، وقد تسلسل الدعاة في اليمن أربعة قرون تقريباً ، ثم نقلوا مركز الدعوة إلى الهند .

ويحاول البهرة أن يكون طراز حياتهم فاطميًّا ، فقد كانوا أولاً في المدينة إلى أيام جعفر الصادق ثم انتقلوا إلى عدة مراكز في «سَلَمْيَة» بسوريا ، وأرادوا أن يقيموا دولة ، فأقاموها أولاً في «أبكجان» بالجزائر ، ثم بنوا عاصمتهم «المهدية» في تونس، واختاروا «المنصورية» عاصمة لهم ، ثم القاهرة ، وقد تم ذلك في عهد أربعة أئمة : المهدي بالله ، القائم بأمر الله ، المنصور بالله ، ثم المعز لدين الله الذي نقل العاصمة إلى القاهرة.

بعد المعز لدين الله ، جاء العزيز بالله ، والحاكم ، والظاهر ، والمستنصر ، والمستعلي، والآمر بأحكام الله ، والأخير هو الإمام العشرون في عداد الأئمة الفاطميين بعد علي بن أبي طالب . وابنه «الطيب» هو الحادي والعشرون ، والإمام الآمر هو الذي أمر بحمل ابنه الإمام وإبعاده عن القاهرة إلى بقعة أخفوها عن الناس ، ثم أقاموا لهم في اليمن نائباً ، فالفاطميون يعتقدون أن الأئمة من نسل الإمام الطيب ، وأن النواب والدعاة تسلسلوا من نسله إلى وقتنا هذا ، فوجود الداعي يدل على وجود الإمام . وسوف يأتي يوم يظهر فيه الإمام . يقول الأمير الدكتور يوسف نجم الدين : نحن نختلف مع الاثنى عشرية ، فالذي اختفى عندهم هو الإمام الثاني عشر والذي سيظهر بشخصه يوماً ما ، أما نحن فنقول : إن الذي اختفى هو «الطيب» وحين انتهى عمره الطبيعي خلفه ابنه إماماً ، وهكذا فنحن لانعتقد أن الإمام يعيش فوق عمره الطبيعي .

وسلاطين البهرة هم النواب ، ورتبهم الدينية هي رتبة الداعي المطلق ، واشتهروا بالسلاطين في اليمن والهند ، وهم دون الأئمة رتبة . ويدعون لهم ولايدعون لأنفسهم. والعصمة للإمام ومن ينوب عنه من الدعاة حتى لايخرج عن المذهب.

٣ - جاء في الحديث عنهم : أن العامر بالله المتوفى سنة ١١٣٠م عين قبل وفاته مجلساً للوصاية من بعض الدعاة على ورثته وهو ابنه «الطيب» كما عين أخاه «عبدالماجد» لرعاية شئون الجماعة الدنيوية نيابة عن الطيب ، ولكن بعد موت «العامر» اغتصب عبدالماجد الإمامة من ابن أخيه بمساعدة قائد الجيش ، فلما شعر أعضاء المجلس بتعرض «الطيب» للخطر أخفوه عن الأنظار ، ولم يعرف عنه شيء بعد ذلك ، واعتبروا هذا بداية عهد الستر ، وقد نشطت الدعوة في اليمن منذ أواخر القرن الحادي عشر حيث كانت مقرًّا لداعيهم ، وانتشرت عن طريق التجارة في شرقي أفريقيا وغربي الهند ، وهم مشهورون بمزاولة التجارة والثراء العظيم . ولابد أن يدفع كل بالغ مبلغاً من المال للجماعتين على دفعتين في العام ، يتناسب مع ثروته وأهمية المناسبة ، وغالباً ما يكون من ٥ -١، شلناً. يذهب جزء من المبالغ إلى خزينة السلطان ، ويحتفظ مندوبوه المعروفون بالعمال في الأقاليم بالباقي ، ويحصل كل منهم على مرتب ثابت ومقر لإقامته بالمجان، فضلاً عن مكافأة من خزينة المجلس للطائفة، ولهذا يطمع الكثيرون في هذه المناصب .

٤ - أركان الإسلام عندهم سبعة : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والولاية، والطهارة ، وتتضمن تحريم الدخان والموسيقى والأفلام ، ويقول الأمير الدكتور يوسف نجم الدين : قولنا بالطهارة احتياط ، لأننا في وسط بيئة غير مسلمة -بالهند- وهم في صلواتهم يجمعون بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، ولايصلون الجمعة ، بل يصلونها ظهراً ، ويصلون العيد بدون خطبة أربع ركعات ، ويقدسون مأساة كربلاء لمدة عشرة أيام ، ويحتلفون بيوم «غَدِيرخُم» في يوم ١٨ من ذي الحجة حيث تمت الوصية للإمام علي ، يصومون فيه ويجددون العهد للداعي المطلق في بومباي أو الدعاة المبايعين وهم نوابه في الأقاليم ، وأتباع الداعي يطيعونه طاعة عمياء ، وهناك عهد قديم بالولاء للإمام الطيب والإمام المنتظر . والداعي المطلق عندهم معصوم في كل تصرفاته.

٥ - زعيمهم الراحل هو الدكتور : ملا صاحب أبو محمد طاهر سيف الدين، كان شاعراً، ورأس جامعة «عليكره» واهتم بالعلوم الدينية وإحياء التراث الفاطمي، وهو الداعية رقم ٥١ في سلسلة الدعاة الفاطميين ، وتولى هذه الدعوة من ١٩١٥ - ١٩٦٥م وطوَّر الدراسة في الجامعة «السيفية» في مدينة «سورت» وهي حصن الثقافة الإسلامية والعربية ، وكان يلقي محاضرات باللغة العربية في رمضان وتطبع بعنوان «الرسالة الرمضانية» . والزعيم الحالي هو الدكتور محمد برهان الدين الداعية رقم٥٢. وقد أقاموا للداعية الراحل مسجداً وضريحاً في قلب الحي التجاري في بومباي في منطقة : «بهاندي بازار» واحتفلوا بافتتاحه يوم السبت ٨ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٥هـ (٩/ ٤/ ١٩٧٥م) في شارع إبراهيم رحمه الله . ودعى إليه علماء كثيرون ، منهم الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر ، والشيخ محمد خاطر مفتي مصر ، ومعهما الشيخان محمود خليل الحصري وعبدالباسط محمد عبدالصمد لقراءة القرآن ، والشيخ محمد الطوخي للأناشيد.

ويوجد في مكتبة السلطان ومكتبة الجامعة السيفية مخطوطات فاطمية نقلت بعد ضعف الدولة الفاطمية من مصر إلى اليمن ثم الهند ، وحافظوا عليها حتى منعوا تداولها ، ثم أباح السلطان أو الزعيم الراحل نشر بعضها .

والضريح مبني على الطراز الفاطمي حيث حضر إلى مصر مهندس منهم اسمه «يحيى مرتد» وصوَّر عدة مساجد من ذلك العهد ، والمسجد يسمى «روضة طاهرة» مساحته ثلاثة آلاف متر مربع ، عرض كل جدار إحدى وخمسون قدماً ، رمزاً لرقم الداعية المتوفى ، والارتفاع ثمانون قدماً ، رمزاً لعمره ، وغطيت جدرانه بالمرمر المضاهي لمرمر «تاج محل» من منطقة «راجستان» بالهند ، ومن مميزاته أنه يظل بارداً على الرغم من حرارة الجو ، ونقش القرآن كله على ألواح مرمرية عددها ٧٧٢ كل لوح ٣ × ٢ من الأقدام ، ورصعت البسملات بخمسة أنواع من الجواهر : الياقوت ، المرجان ، الدر ، الزمرد ، الماس . وسورة الإخلاص كلها مرصعة بالياقوت الأحمر ، واستغرق البناء ثماني سنوات منها أربع لحفر القرآن وطلائه [سنتان للحفر وسنتان للنقش والطلاء والترصيع].

المراجع :

١ - استطلاع مجلة العربي عدد سبتمبر ١٩٧٥م بقلم محمد حسني زكي.

٢ - الأهرام ٢/ ٥/ ١٩٧٥م بقلم الدكتور ياسين مراد.

٣ - مجلة المصور ٢٠/ ١/ ١٩٧٨م تحقيق أحمد أبو كف.

س : هناك جماعة يطلق عليهم اسم القاديانية ، فمن هم وما رأي الدين فيهم؟

ج : تنسب هذه النحلة إلى غلام أحمد القادياني المولود في بلدة «قاديان» سنة ١٨٣٦م وتعلّم بعض القرآن واللغة العربية . وفي سنة ١٨٧٦م مرض أبوه فزعم أحمد أن الوحي نزل عليه بأن أباه سيموت ، وكانت هذه بداية زعمه أنه نبي يوحى إليه .

عارضه العلماء كثيراً ولكنه كان تحت حماية الإنجليز فلم يمسه أحد بسوء ، توفى في ٢٦ من مايو ١٩٠٨م ودفن في قاديان . وبعد موته انقسم الأتباع إلى شعبتين : شعبة قاديان ، وشعبة لاهور التي من أكبر زعمائها «محمد علي» الكاتب الإسلامي الذي ترجم القرآن إلى الإنجليزية . ونصْف الأتباع في باكستان والباقون موزعون في سائر أنحاء العالم .

وكان من أبرز المقاومين لهذه الحركة الشاعر «محمد إقبال».

ومن أهم مبادئ هذه النحلة :

١ - ادعاء زعيمهم أن الوحي ينزل عليه كما ينزل على الأنبياء ، بل ينزل على أتباعه أيضاً .

٢ - وما دام الوحي ينزل عليه فهو نبي ، وقد صرح بذلك في خطبته الإلهامية.

٣ - ادعاء أن له معجزات تدل على صدقه.

٤ - غروره وتفضيله لنفسه على بعض رسل الله ، و جاء في كتاب «أحمد رسول العالم الموعود» : أن مسيح السلالة الإسلامية ـ غلام أحمد ـ أعظم من مسيح السلالة الموسوية ـ يعني عيسى .

٥- تكفيره لمن لم يؤمن برسالته .

٦- موالاته للإنجليز في إبطال الجهاد ضدهم .

هذا ، وشعبة لاهور تقول : إن غلام أحمد ليس نبيًّا ولكنه مجدد فقط لكن يقولون : إن عيسى ابن مريم هو ابن يوسف النجار ، وأنه لم يصلب ، بل مات في الظاهر ودفن في قبر خرج منه بعد ذلك ، وهاجر إلى الهند ، ويقال إنه توفى بها كما في دائرة المعارف الإسلامية .

وبيان بطلان مذهبهم يرجع إليه في كتابنا «دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة» والجزء الثاني من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» وقد صدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية سنة ١٩٥٩م بأن من قال بظهور نبي بعد محمد خاتم الأنبياء والمرسلين فقد نَصَّ الفقهاء على أنه يكون مرتدًّا [١] وأكد الفتوى الإمام الأكبر الشيخ جاء الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وقرر في إجابته على أسئلة وردت إليه من رئيس المجلس الإسلامي لجنوبي أفريقيا أن طائفة الأحمدية -وهي فرقة من القاديانية- تعتبر مرتدة عن الإسلام. وليس لها أن تدخل مساجد المسلمين ولا أن تدفن موتاها في مقابر المسلمين [٢] .

هذه نبذة بسيطة عن القاديانة ، ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى الكتب التي أشرنا إليها وإلى كتب أخرى لأبي الحسن الندوي والشيخ محمد الخضر حسين وغيرهما .

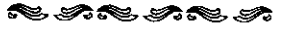

س : ظهرت في هذه الأيام جماعة تطلق على نفسها اسم «البابية أو البهائية» فما هي المبادئ التي تقوم عليها ، وما هو موقف الإسلام منها ؟

ج : البابية نحلة ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي ببلاد فارس ، منسوبة إلى «الباب» ولفظ الباب متداول قديماً عند الصوفية وبعض الفرق الباطنية وله صلة

١- الفتاوى الإسلامية مجلد ٦ ص ٢١٣٣ .

٢- مجلة الأزهر عدد ذي الحجة ١٤٠٥هـ .

بحديث «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» [1] . وقد انتحل هذا اللقب أحد الدعاة لهذه النحلة وهو «علي محمد الشيرازي» فسميت بالبابية نسبة إليه .

والبهائية هي البابية نسبت إلى «بهاء الله» وهو اللقب الذي أطلقه على نفسه أحد الزعماء الذين خلفوا الباب بعد موته وهو «حسين نوري» فسميت النحلة بالبهائية نسبة إليه .

وقبل الحديث عن مبادئها نذكر طرفاً يسيراً من تاريخها فنقول :

إن القائمين بها من غلاة الشيعة ، بدأت تتبلور على يد «أحمد الأحسائي أو البحريني» الذي كانت له مكانة في محافل العلم بكربلاء والنجف وإيران . وله مؤلفات اتهم فيها بأنه يعبد عليًّا ، وينكر البعث بالأجساد ويقول إنه روحي خالص. وكان أتباعه يسمون «الشيخية» وتوفى في العشرينيات من القرن الماضي ، فقام بدعوته «كاظم الرشتي» وبعد وفاته سنة ١٨٤٣م كان من الدعاة «ميرزا علي محمد الشيرازي» وقاومت الحكومة الإيرانية هذه الدعوة ، وبعد مناظرات مع أتباعها أعدم «الباب» سنة ١٨٥٠م في تبريز ، ثم نقل أتباعه جثته إلى عكا ودفن فيها .

وحسين نوري «البهاء» الذي خلف «الباب» نشط في الدعوة وألف عدة كتب من أشهرها : الكتاب الأقدس ، ثم توفى في عكا سنة ١٨٩٢م ودفن على سفح جبل الكرمل. وقام بالدعوة بعده ابنه «عباس أفندي» الذي توفى في العشرينيات من هذا القرن . وانقسمت الجماعة بعد ذلك ، وليس لهم من نسل هؤلاء زعيم ، إنما يدير شؤونهم أحد بيوت الدعوة التي أقاموها .

ومن أهم مبادئ هذه النحلة :

١ - الحلول ، فقد ادعى «الباب» أن الله ظهر فيه ، وكذلك ادعى «بهاء الله» الألوهية بعد ادعائه النبوة وادعاها أيضاً عباس أفندي.

٢- قدم العالم ، بمعنى أن العالم صدر عن الله صدور المعلول عن العلة كما يقول بعض الفلاسفة القدامى .

---

١ - رواه الترمذي وحسَّنه والحاكم وصححه .

٣- عدم الاعتراف بيوم القيامة بالمعنى المعروف في الإسلام فالمقصود به ظهور المظهر الإلهي ، ويعنون بالجنة الحياة الروحية وبالنار الموت الروحاني.

٤- إنكار معجزات الأنبياء ويؤولونها بالأمور المعنوية ، وهذا مع قولهم بإمكان النبوة ، وذلك دليل على خلطهم في أفكارهم .

٥- ادعاء الوحي : ووضع كتب لمعارضة القرآن زاعمين أنها أفضل منه .

٦- عدم ختام النبوة بمحمد ﷺ ومعنى «خاتم النبيين» خيرهم كما يقول القاديانية.

٧- الإسراف في تأويل القرآن ليس عن اعتراف به ولكن لاستخدامه في الترويج لبدعتهم . ويوجد كثير من هذه التأويلات في كتاب «الدرر البهية» لأحد دعاتهم وهو «أبو الفضل الجرفادقاني».

٨ - وهناك تفريعات على عقيدتهم ، كتقديس عدد «١٩» لأنه حاصل من جُمَّل كلمة «واحد» أو كلمة «وجود» وهو حساب يهودي والسنة عندهم ١٩ شهراً ، وكل شهر ١٩ يوماً ، وحاولوا أخيراً تفسير القرآن على ضوء هذا العدد . والصلاة تسع ركعات . والقبلة حيث يكون بهاء الله ، وإبطال الحج إلى بيت الله ، بل التوصية بهدمه عند ظهور المقتدر من أتباعهم .

ويظهر من عرض هذه المبادئ أنها مزيج من أديان ونحل وآراء فلسفية مختلفة . وفيها غموض يزيد من تعقيدها ، وليست لها رسالة إصلاحية ، بل هي حركة هدامة للأديان ، استغلها الاستعمار لصالحه ، وتلتقي مع الماسونية في هدفها من سلخ الناس عن أديانهم عن طريق شعارات خداعة كخدمة الإنسانية وتحقيق الإخاء والعدالة ، وقد صرح بذلك «عباس» فقال : إنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ، ويجمعهم على أصول ونواميس موسى عليه السلام الذي يؤمنون به جميعاً [1]. والنقد التفصيلي لهذه المبادئ لايتسع له المقام ، وقد أفتت لجنة

---

١ - كتاب عبدالبهاء والبهائية ص ٨٧ ، ٩٣ .

الفتوى بالأزهر بأن الذي يعتنق البهائية يصير مرتدًّا عن الإسلام ، وزواجه باطل حتى لو كان ببهائية مثله ، وصدر حكم قضائي في ٣٠ من يونيه سنة ١٩٤٦م من محكمة المحلة الكبرى الشرعية بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية وحكمت بأنه مرتد .

وللبهائية أتباع في كثير من الدول ، ولهم فيها محافل متعددة ، وصدر في مصر قرار جمهوري رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م بحل محفلهم وتحريم نشاطهم [١].

س : نسمع عن قوم يعبدون الشيطان في العصر الحاضر الذي لاتخفى فيه عداوة الشيطان للإنسان ، فأين هم ، وما موقف الإسلام منهم ؟

ج : من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى نهى عن اتباع الشيطان الذي استكبر عن أمر الله له بالسجود لآدم ، فلعنه وطرده من الجنة وأقسم هو على أن يغوي الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين ، ومن ضمن النصوص التي وردت في النهي عن اتباعه وعبادته قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] وقوله على لسان إبراهيم لأبيه ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم : ٤٤] . وقد ظهرت جماعة في العراق لهم أسماء عربية يزعمون أنهم مسلمون ولكنهم يعبدون الشيطان ، ومنهم من يسمَّون «اليزيدية» - وعقيدتهم خليط من مواد وثنية قديمة ، مواد إيرانية زرادشتية ويهودية ونصرانية وإسلامية ، ويطلق عليهم أيضاً عبدة الطاووس الذي يرمزون به إلى الشيطان ، فهو في زعمهم طاووس الملائكة . وبالتالي يستنكرون لعن إبليس في القرآن .

١- راجع كتابنا (دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة) ورسالتنا (البابية والبهائية) تاريخاً ومذهباً.

تقول الدكتورة آمنة نصير في كتابها عن هؤلاء : إنهم يقدسون حسين بن منصور المعروف بالحلاج الصوفي ، وأقاموا له ضريحاً وصنعوا له تمثالاً سّموه «سنجق الحلاج» . كما جاء فيه أن عبادة الشيطان ظهرت أولاً في الغرب وتأسست في فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا سنة ١٩٦٦م كنيسة الشيطان ، ولها فروع في بلاد كثيرة ومبشرون بها في العالم . ونشر مؤسسها كتاباً لعبدة الشيطان سماه «الإنجيل الأسود» سنة ١٩٦٩م بعدة لغات ، وشاع في أتباع هذه العقيدة الفسق والفجور.

وتقول مؤلفة الكتاب : إن لعبادة الشيطان مصدراً آخر وهو إسرائيل التي كثرت في كنائسها منكرات أخلاقية تأثر بها المجاورون من الدول العربية [1].

وهناك بحث لمصطفى محمود عن عبادة الشيطان في أهرام ٢٢ مارس ١٩٩٧م يؤكد أن لها أصولاً يهودية من التوراة المحرفة.

س : نسمع عن إخوان الصفا وأن لهم رسائل فمن هم هؤلاء وهل هم مسلمون؟

ج : إخوان الصفا جماعة دينية سرية عنيت بالسياسة والفلسفة ، ويرجح بعض الكاتبين أنهم من الشيعة الباطنية وكانوا حريصين على إخفاء نسبتهم إليها وقد ظهرت بالبصرة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي «الرابع الهجري» وسموا أنفسهم «إخوان الصفا وخلّان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد».

وزعموا أن جماعتهم تجمعت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنه يقربهم إلى فوز برضوان الله ، وقالوا : لاسبيل إلى إصلاح الشريعة إلا بالفلسفة ، كتبوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة العلمية والعملية ونشروها بين الناس دون أن

---

١ - انظر مجلة منبر الإسلام عدد شعبان سنة ١٨١٤هـ .

يصرحوا بأسمائهم ، وفيها ضروب من المعارف محشوة بخرافات وكنايات وتلفيقات بين الفلسفة والأحاديث التي تحشى في طياتها حشواً بلا اتساق وتعاليمهم فيها لاتتقيد بواجبات الشريعة ، وإن كانت آراؤهم الطبيعية والعلمية دقيقة إلى حد كبير وتنقسم رسائلهم إلى أربعة أقسام : الرياضيات ، الجسمانيات أو الطبيعيات ، النفسيات أو العقليات ، الناموس أو الإلهيات . إلى جانب الرسالة الجامعة التي توضح وتجمع كل مسألة تعرضت لها الرسائل الأصلية ، كما ذكر الكاتبون أسماء مؤلفيها الخمسة ، لكن لاتهمنا معرفتهم.

obeikandl.com